١٠ ـ لحظات حاسمة

في الحرب التقليدية يتعرض الجيش في صراعه مع العدو لخسائر بشرية ومادية ، وهو كلما تحرك او قام بأي دور يفقد من مخزونه في الطعام والشراب والعتاد والاليات والافراد وربما المواقع ، وهو يحتاج لاستمرار العمليات في اي مستوى كانت للتزود باستمرار بما يلزمه والتعويض الدائم عن ما يفقده ، وفي لحظات اشتداد الصراع يحتاج الى غطاء والى مدد جديد ، وهكذا يستطيع الاستمرار في الحرب واعادة تكوين نفسه مع كل غذاء للحرب يحصل عليه ، انه في الغالب يحتاج الى التزود بمستلزماته المادية والمعنوية من خارجه بالاضافة الى ما يستند اليه من قوة معنوية ومادية ذاتيه ، وخبرة ودربة وفن عسكري .

والمناضل في اقبية التحقيق يتعرض باستمرار لضغوطات جسدية ومعنوية نفسية وعصبية ، ولكنه يواجه حربه منفردا من ناحية وجوده وحيدا في مواجهة طاقم التحقيق ، وهو اذ زود اثناء حياته العادية والنضالية بالتعبئة والاعداد بأي مستوى كان فانه هو وحده فقط الذي يزود نفسه بالقوى المعنوية اللازمة اثناء صراعه مع جلاديه في ظل ظروف تؤدي الى ان تعتمل في نفسه بواعث متناقضة ومؤثرات خارجية ذات آثار متناقضة : فانتمائه الوطني وتاريخه الكفاحي وعلاقاته وارتباطاته ، وحجم الامانة التي يحملها في عنقه واستعداداته للاستمرار في الكفاح ، وحقده على العدو ، ورفضه القاطع لخدمته والتعاون معه ، والحاق الاضرار المادية والمعنوية بالحزب والثورة كل ذلك يشده نحو الصمود . اما الضغوطات الموجهة ضده فهي تهدف الى اسقاطه وهي ليست بدون اثر في واقع الحال ولكن اثارها ايضا متناقضة وتتضمن ما يحفزه على الصمود ، وما يمكن ان يقوده للحظة ضعف ربما يليها استعداد ذاتي للسقوط .

ومن المعقول جدا أن تتفاعل هذه العوامل المتداخلة في نفس الانسان الذي يواجه التحقيق في اي لحظة وبكثافة وحدة قد تصل الى مرحلة يضع المناضل نفسه فيها امام خيارين من الناحية العامة ويتسائل : ايعترف وينتهي كل شيء (المقصود وينتهي التحقيق ومعه الانتماء الوطني والطبقي ، الانتماء الثوري) أم يصمد وليكن ما يكون . علما بأن ذلك لا يعني بأن المناضل يضع نفسه بالضرورة امام خيارين من نفس المستوى والوزن والقوة أو يتعامل مع هذه الخيارات حسابيا بل قد يعبر عنها على الاغلب على شكل (سأصمد ولن اعترف) او لا يمكن أن اعترف واخون ، أو من هؤلاء الاوباش حتى يدفعوني للاعتراف. وفي هذه الحالات المذكورة كامثلة لا يكون لدى المناضل أية استعدادات للاعتراف ، أو اختيار موقف الضعف بل أن اختيار موقف القوة واستمرار النضال يأتي كنقيض لتصورات عن موقف ، أو موقف ضعف ورد حازم على تلك التصورات والمواقف . وليس مستبعدا أن تظهر الخيارات بشكل سلبي على شكل (الى متى استطيع تحمل وضع كهذا) ، هل استطيع الصمود ، الى متى ينتهي هذا التعذيب ، هل الافضل ان أقول شيئا ما وابقى على الاشياء الاخرى ؟.

بهذه الصورة أو بصورة شبيهة تعتمل التناقضات في نفس المناضل وتتظاهر وكأنها اختبار في لحظة اختيار ، وقد تجري هذه التفاعلات مكثفة والمناضل في الزنزانة وليس في قبو التعذيب ، أو وهو في حالة انتظار في احد الامكنة المستعملة لذلك ، أو وهو تحت الجلد مباشرة . وللاجابة على هذه الاسئلة اهمية حاسمة وشديدة الاثر وتحتاج إما الا قوة ارادة أو فقدان لهذه الارادة . تحتاج الى قوة ارادة لان المناضل في وضع غير عادي ويتطلب الامر ارادة صلبة لاستمرار ثباته (على اية حال فالارادة سمة انسانية وموجودة عند الجميع) أو يحتاج لان يفقد ارادته معنويا حتى يقبل لنفسه الانهيار والسقوط .